محاضرة:

الصّيغة السردية: Le Mode

تمهيد:

يقوم السّرد على دعامتين أساسيّتين :أوّلهما أن يحتوي على قصّة تروي أحداثا معيّنة ، وثانيتهما أن يعيّن الطّريقة التي تُحكى بها تلك القصّة، ذلك أنّ قصّة واحدة يمكن أن تُحكى بطرقٍ متعدِّدة، وهكذا فالسّرد هو الكيفيّة التي تروى بها القصّة عن طريق القناة التالية:

الراوي ← **القصة** ← **المروي له**

وهذه القناة تخضع لمؤثِّرات بعضها متعلِّق بالرّاوي والمرويِّ له، والبعض الآخر متعلِّق بالقصّة نفسها ، والخطاب القصصي بإمكانه تزويد القارئ بدرجات متفاوتة من التّفاصيل ومن مسافات مختلفة الأبعاد ، كما أنّه بإمكان الرّاوي التّنويع في الوجهة التي تقدّم من خلالها الأحداث ، حسب وجهة النّظر هذه أو تلك ،هذه القدرة وهذه الاختلافات الصِّيغية واستعمالاتها هي المقصودة من بحثنا في الصِّيغة السّرديّة.

تعد الصيغة من مكونات الخطاب الأكثر تعقيدا وثراء، والتي تعددت حولها الأبحاث بحيث كانت الانطلاقة الأولى لها من التمييز التقليدي بين المحاكاة Memesis والحكي التام Diegesis، ثم تقسيم النقد الأنجلو- أمريكي، الحكي إلى عرض Showing، وسرد Telling ، لكن هذه الأبحاث لم تكن تميز بين الصيغة Mode، والصوت voix، إلى أن جاء "جيرار جينت" وميز بين المفهومين.

فالصيغة السّردية تنهض على ركيزتين متضافرتين ،الأولى خاصّة بالمسافة القائمة بين خطاب الرّاوي وخطاب الشّخصيّات، والثّانيّة خاصّة بالمنظور أو وجهة النّظر التي ينطلق منها خطاب الرّاوي في قصصه، في حين يتقدّم صوت الرّاوي ليعيّن الموقع الذي يحلّ فيه هذا الخطاب بالنِّسبة للمعطيات القصصيّة التي يحدِّد معالمها[1].

إذن، الحديث عن الصيغة السردية أو نمط السرد كما يذكر تزفتان تودوروف (Tzvetan Todorov) هو: حديث عن« الكيفية التي يعرض لنا بها السارد القصة، و يقدمها لنا بها»[2] و بعبارة أخرى نقول: إن البحث في نمط السرد، هو بحث يتعلق بالتساؤل التالي بخاصة: كيف يروي الراوي ما يرى، أو ما يعرف من أخبار ووقائع ؟[3] ،من هنا جاء تقسيم البويطيقي "تودوروف" لأنماط السرد إلى الحكي أو السرد و التمثيل أو العرض وهذا يتعلق بمصطلح المسافة.

1-المسافة : Distance

صيغة الخطاب تتعلّق بالطّريقة التي يقدِّم لنا بها الرّاوي القصّة أو يعرفها، والصِّيغتان الأساسيّتان تبعا لهذا هما :

---

[1] - سامي، سويدان:"في دلالية القصص وشعرية السرد".ص183

[2] رولان بارت و آخرون، طرائق تحليل السرد الأدبي ، ص 61.

[3] يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1990 ، ص 107

-العرض Présentation.

مثال : «قلت لك :

- لن يأخذ أحد منك الكتابة ..إنّ ما في أعماقنا هو لنا ولن تطوله يد أحد .

قلتِ:

- ولكن ليس في أعماقي شيء سوى الفراغات المحشوّة بقصاصات الجرائد ..بنشرات الأخبار ، وبكتب ساذجة ليس بني وبينها من قرابة .»

-السّرد Narration .

مثال : « عندما دخلت القاعة ، كنت أول من يطأها في ذلك الصباح . كان في الجو شحنة غامضة من الكآبة . لم يكن هناك من أضواء موجّهة نحو اللوحات ، ولا أي ضوء كهربائي يضيء السقف.».

يتضح من خلال المثالين أنّ في الخطاب المعروض يتـمّ الاستشهاد الحَرْفي بأقوال الشّخصيّات، ونجدنا أمام محاكاة خالصة، وفي الخطاب المسرود الرّاوي يروي الأحداث دون أن يفسح المجال أمام الشّخصيّات للحديث، وهو الخطاب الأبعد مسافة.

ودراسة الصِّيغة السّرديّة تقودنا إلى الإجابة عن هذين السّؤالين: من أين يتكلّم المتكلِّم؟ ولمن يتكلّم؟ إنّ نوعيّة العلاقة التي يقيمها السّارد مع خطابه يُضاف إليها نوعيّة المتلقِّي لهذا الخطاب تمكِّننا من تحديد الصِّيغة السّرديّة في العنصر الموالي.

- **2-أنواع الصيغ السردية:**

انطلاقا مما ينقله السارد من أحداث ووقائع، وما تقوله الشخصيات بوساطة السارد أو دونه؛ أي بين الحكي و التمثيل أو العرض، ميز "جنيت" فيما أسماه بالمسافة بين حكاية الأحداث و حكاية الأقوال وهي انواع:

1-صيغة الخطاب المسرود أو المحكي: خطاب يرسله متكلِّم وهو على مسافة ممّا يقوله.

2-صيغة المسرود الذّاتي: ويتمثل في الخطاب الذي يتكلم عنه المتكلم عن ذاته، أو عن أشياء حصلت له في الماضي.

3- صيغة المعروض الذّاتي: خطاب يتحدّث فيه صاحبه إلى ذاته عن فعلٍ يعيشه وقت إنجاز الكلام.

4- صيغة الخطاب المعروض(المباشر): وهو أن يتكلم متكلِّم إلى آخر؛ أي يتبدلان الحوار دون تدخل الراوي وهو الخطاب الأقرب مسافة

5-صيغة الخطاب المعروض غير المباشر: هو أقلّ مباشرة من المعروض، يتدخلّ فيه الرّاوي قبل أو أثناء أو بعد العرض

وفيه نجد المتكلم يتحدّث إلى آخر والرّاوي بتدخّلاته يؤشر للمتلقي غير المباشر.

6-صيغة المنقول المباشر : ويتمثل في نقل معروض مباشر، من طرف المتكلم، وهذا المتكلم ليس بالمتكلم الأصلي، وينقل الكلام كما هو دون تغيير..

7-صيغة المنقول غير المباشر : وهو مثل الخطاب المنقول المباشر، لكن هناك فرق؛ حيث أن المتكلم الناقل للكلام لا يحتفظ بالكلام الأصلي، فيقوم بنقله على طريقته أي بشكل خطاب المسرود.

تطبيق:

أمثلة من روايات مختلفة:

1- عبارة عن تمهيد لأحداث الرواية أو مقاطع سردية مثل "وحل، ذات يوم، صيف من أصياف تلك القرية، وحلت معه أشياؤه الخاصة؛ الحر والسماء الصافية، وأغاني الحصاد والدرس، والسمر الليالي. وانتبه الأطفال ، ذات يوم إلى رجل قوي العضلات، كثيف الشعر، طويل القامة، حاد النظرات، مخيف، ولكنه هادئ جدا وتائه في كثير من الأوقات".
2- تتمثل في محاورة الشخصية لذاتها ، و استرجاع ذكريات من الماضي نذكر: " لقد حدث ذات مرة أن أخذتني جدتي العظيمة معها إلي الحقل حيث كانت تتبع آلة الحصاد، لتلتقط سنابل القمح الساقطة منها. كانت قد أجلستني تحت شجرة زعرورة هناك، وذهبت إلي شغلها. ولما أنهت عملها عادت إلي المنزل، وهناك فقط تذكرت أنها نسيت بشرا كاملا تحت شجرة الزعروره ."
3- " قوة هائلة. عضلات مفتولة، لن يكون هذا الحداد أقوى مني، سأملأ بابه وسأفاجئه. سيقول لي، نعم. لن يقول، لا. أبدا، لن يقولها. وسأطرق الحديد بالحديد. سأنفث نارا من فمي، سيتحول جسدي كله إلى كتلة من النار الملتهبة فأين أنت أيها الحداد ؟ أين المطرقة ؟ وأين السندان ؟ أين الحداد ؟ أسرع إلى بكل ذلك. إنني أريد أن أتنفس،وأنفث غضبي، وأن أستريح. إنني أنا المارد الذي لا يقهر." فالخطاب الذاتي الذي تحاور فيه الشخصية نفسها، بتخيل شخصية اخرى.
4- "عاشور. افتح يا عمار
- أنا عاشور..
- هذا أنت. ما الأمر ؟
- كنت عائدا من القرية . انتهت السهرة.
-كيف حالك؟..."
5-الحوار الذي يتدخل فيه الراوي مثل:" هز سليـــم رأسه دون أن تفـــارقه ابتسامة شاحبة وقال: (.....)، ارتبك الطبيب وتحرك من مجلسه وقال: (.....) ، ضحك سليم ضحكة رقيقة خافتة وردّ: ...
6-عند تحاور الشخصيات تنفل مواقف وحوارات بالحرف الواحد دون أي تغيير. حيث تقول مثلا قال طارق بن زياد الشهيرة: « العدو أمامكم، والبحر من ورائكم.... »
7- ينقل لنا مثلا البطل قصة آدم عليه السلام لكن بطريقة الخطاب المسرود " عندما أكمل الله خلق آدم من طين ذات ألوان كألوانك هذه، استوي على عرشه وقال: ها قد سويته، ونفخت فيه من روحي. لكن آدم عصى ربه. كان إبليس سببا، وكانت حواء واسطة بينهما. أخرج آدم حواء من ضلعه، ولكنها أخرجته من جنته".
للإشارة يمكن أن تتداخل هذه الصيغ في المتن الروائي حتى يكون من الصعب دراستها منفصلة، وهي أيضا توظف في الرواية بتفاوت بينها.